المبشرات من القرآن الكريم

أول هذه المبشرات : ما جاء فى القرآن مما وعد به الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بنصرة الإسلام ، وإتمام نوره ولوكره الكافرون ، وإظهاره على كل الأديان ولو كره المشركون .

نقرأ فى سورة التوبة - فى سياق الحديث عن الذين يعادون الإسلام من المشركين وأهل الكتاب الذين حرفوا دينهم ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله - قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

يقول العلامة ابن كثير فى تفسير هاتين الآيتين :

« يقول تعالى : يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب : ﴿ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ﴾ أى ما بعث به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق ، فكذلك ما أرسل به رسول الله ﷺ لا بد أن يتم ويظهر ، ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه : ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن

---

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣

يُتمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ والكافر هو الذى يستر الشىء ويغطيه ، ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ ، فالهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح ، والعلم النافع ، ودين الحق هو : الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة فى الدنيا والآخرة : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ أى على سائر الأديان ، كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : « إِنَّ اللهَ زَوَى لِى الأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » (١) ، وأخرج الإمام أحمد بسنده عن مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود يقول : صلى هذا الحى من محارب الصبح ، فلما صلوا قال شاب منهم : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : « إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها ، وإن عمالها فى النار إلا من اتقى الله وأدَّى الأمانة » (٢) وأخرج الإمام أحمد أيضًا عن تميم الدارى يقول : قد عرفت ذلك فى أهل بيتى ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان كافرًا منهم الذل والصغار والجزية (٣) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب (الفتن وأشراط الساعة) ، حديث رقم ١٩ وأبو داود (٤٢٥٢) .

(٢) رواه أحمد فى « المسند » (٥/ ٣٦٦) وحذفنا السند اختصارًا .

(٣) المسند : (٤/ ١٠٣) .

وفى المسند أيضًا عن عدى بن حاتم يقول : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : « يا عدى أسلم تسلم » فقلت : إنى من أهل دين ، قال : « أنا أعلم بدينك منك » ثم قال : « إنى أعلم ما الذى يمنعك من الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة ؟ » ، قلت : لم أرها وقد سمعت بها، قال : « فوالذى نفسى بيده ليتمنَّ اللهُ هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز » ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « نعم كسرى بن هرمز ، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد » ، قال عدى : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها [1] ، وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يذهب الليل والنهار حتي تعبد اللات والعزى » ، فقلت : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الآية أن ذلك تام ، قال : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عَزَّ وجَلَّ ، ثم يبعث الله ريحًا طيبة ، فيتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة

---

(١) أحمد فى المسند : (٤/ ٢٥٧) .

خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم » (١) .

وهذا المعنى تكرر فى سورة الصف حيث يقول تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

وفى سورة الفتح قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (٣) .

ومن المبشرات القرآنية قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

يقول ابن كثير : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أى أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ،

---

(١) مسلم فى كتاب (الفتن وأشراط الساعة) ، حديث (٧٢) .

(٢) الصف : ٨ ، ٩ (٣) الفتح : ٢٨ (٤) النور : ٥٥

وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا وحكمًا فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين ، وسائر جزيرة العرب ، وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ، ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم ، وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عُمان ، والنجاشى ملك الحبشة ، الذى تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه .

ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة ، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ، فلمَّ شعث ما وهى بعد موته صلى الله عليه وسلم ، وأخذ جزيرة العرب ومهدها ، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ففتحوا طرفًا منها ، وجيشًا آخر صحبه أبى عبيدة رضى الله عنه ومن أتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامى فى أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها .

وتوفاه الله عَزَّ وجَلَّ ، واختار له ما عنده من الكرامة ، ومنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ، فقام بالأمر بعده قيامًا تامًا ، لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله فى قوة سيرته ، وكمال عدله ، وتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلى آخرها ، وأكثر إقليم فارس ، وكُسر كسرى ، وأهانه غاية الهوان ، وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع يده

عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما فى سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية - دولة عثمان بن عفان - امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأُمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذى يرضيه عنا » أ هـ.

وهذا الوعد الإلهى للمؤمنين وعد دائم ومستمر ، وما تحقق فى عهد الخلفاء الراشدين من نصر وتمكين ، يمكن أن يتحقق لمن بعدهم ، فإن وعد الله تعالى لا يتخلف ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ (١) ، ووعد الله هنا مشروط بالإيمان وعمل الصالحات وعبادة الله وحده ، وعدم الإشراك به ، قال تعالى : ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ﴾ (٢) .

* *

---

(١) الكهف : ٩٨ (٢) النور : ٥٥

● قصص الرسل وعاقبة المؤمنين والمكذبين :

ومن المبشرات القرآنية ما قصه علينا القرآن من قصص الرسل والمؤمنين وأقوامهم ، ومخالفيهم من المشركين ، وكيف كانت العاقبة للرسول والذين آمنوا معه ، وكان الهلاك والدمار للذين تمردوا على الله وكذبوا المرسلين .

ومن ذلك : قصة موسى وقومه وفرعون وملئه ، وكيف حول الله بنى إسرائيل على يد موسى من حال إلى حال ، وأغرق فرعون وجنوده ، وحقق الله إرادته فى تمكين المستضعفين ، وإدالة دولة الطاغين المتجبرين .

اقرأ هذه الآيات من سورة القصص :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ، يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

فسخر القدر الأعلى من فرعون وملئه وجنده ، فقد كان يذبح أبناء بنى إسرائيل حتى لا يظهر منهم من يزول ملكه على يديه . فإذا

---

(١) القصص : ٤ - ٦

الطفل الموعود يدخل قصر فرعون بإرادته وينشأ ويترعرع فيه وتحت سمعه وبصره ، وهو لا يدرى ، كما قال تعالى :

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (١) .

وكان ما كان من أمر موسى وفرعون مما قص علينا القرآن تفصيلاً ، وبعث الله موسى رسولاً إلى فرعون وقومه ، ومعه أخوه هارون ، وكان لقاء وتحدّ انتهى بهزيمة فرعون على أيدى سحرته أنفسهم ، الذين خروا ساجدين وقالوا :

﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٢) .

وجن جنون فرعون ، وهدد وتوعد ، وأرغى وأزبد . وأوحى الله إلى موسى أن أسر بعبادى ليلاً إنكم متبعون . ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٣) .

* *

---

(١) القصص : ٨ (٢) الأعراف : ١٢١ ، ١٢٢

(٣) الشعراء : ٥٣ - ٥٩

● وعد الله بنصر المؤمنين وإنجائهم والدِّفَاع عنهم :

ومن المبشرات القرآنية : وعد الله المؤمنين بالنصر والنجاة والدفاع والولاية والمعية ، على وجه العموم .

إقرأ قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٣) .

﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٤) .

﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

ويتأكد هذا الوعى الإلهى عند حلول المحن والشدائد بساحة المؤمنين ، حين تمسهم البأساء فى الأموال ، والضراء فى الأبدان ، والزلزلة فى النفوس ، هناك يكون النصر أقرب ما يكون من المؤمنين . .

كما قال تعالى : ﴿ أَم حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبْلِكُم ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ، أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾(٦) ،

---

(١) الروم : ٤٧ (٢) يونس : ١٠٣ (٣) الحج : ٣٨

(٤) البقرة : ٢٥٧ (٥) الأنفال : ١٩ (٦) البقرة : ٢١٤

يقول الرسول والمؤمنون من قومه : متى نصر الله ؟ استبطاء لمجئ النصر ، وكان الإنسان عجولاً ، وهنا يطمئنهم الله بهذه الجملة الفاصلة التى ختم بها الآية الكريمة ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ . ولكنه لا يعجل بعجلة أحدنا ، وكل شيء عنده بمقدار ، وبأجل مسمى ، لا يستأخر ولا يستقدم .

وقال تعالى فى خواتيم سورة يوسف : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١) .

فانظر إلى هذه الصيغة ودلالتها ﴿ اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ من طول ما ارتقبوا النصر ، فلم يجئ فى الوقت الذى كانوا يرغبونه ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم قَد كُذِبُوا ﴾ الضمير فى قوله : ﴿ ظَنُّوا ﴾ يعود إلى الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل ، وذكروا فى الآية السابقة ، فهم ظنوا أن الله أخلف رسله ما وعدهم ، ولم يصدقهم الوعد .

وهنا تكون المفاجأة بعد الاستيئاس من جانب الرسل وظن السوء من جانب أقوامهم المشركين ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ﴾

فهو يأتى أحوج ما يكون الناس إليه ، وأرغب ما يكون فى وصوله : ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ فهذا من سنن

---

(١) يوسف : ١١٠

الله مع المجرمين : ملاحقتهم بالبأس الإلهى حتى يؤدبهم ويعرفهم بمقدار أنفسهم ، ويخفف من غلوائهم .

ومن ثم استقر فى عقول المسلمين وقلوبهم : أن الأزمة كلما اشتدت وتفاقمت آذنت بالانفراج ، وأن أحلك سويعات الليل سوادًا هى السويعات التى تسبق الفجر ، وفى هذا قال الشاعر :

اشـــتدى أزمة تنفرجى قد آذن ليلك بالبلَج !

وقال الآخر :

ولرب نازلـــــة يضيـــق بها الفتى

ذرعًـــا ، وعند الله منها المخـــــرج !

ضاقت ، فلما استحكمت حلقاتها

فـــرجت ، وكنت أظنها لا تفرج !

* *

● **وعد الله بإحباط كيد الكافرين ومؤامراتهم :**

يكمل وعد الله بنصر المؤمنين : وعده سبحانه بإحباط كيد الكافرين ، ومكرهم بالإسلام وأهله ، وجهودهم الدائبة لإطفاء نوره ؛ وأنه تعالى سيرد كيدهم فى نحورهم ، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم . وهو - جل شأنه - لا يخلف الميعاد .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ (١) .

وقوله تباركت أسماؤه : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ، إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى فى بيان عاقبة بذلهم الأموال والجهود للصد عن الإسلام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (٥) .

والفئتان المذكورتان فى الآية الكريمة هما : فئة المؤمنين وفئة

---

(١) الطارق : ١٥ - ١٧ (٢) الأنفال : ٣٠

(٣) يونس : ٨١ ، ٨٢ (٤) الأنفال : ٣٦

(٥) آل عمران : ١٢ ، ١٣

المشركين فى بدر ، وقد نصر الله المؤمنين - وهم أقل عددًا ، وأضعف عدة واستعدادًا - على المشركين ، بما منحهم الله من إيمان وثبات ، وما أنزل عليهم من جنده ، وما قذف فى قلوب أعدائهم من رعب ، وما عملت فيهم يد القدر الأعلى بما هو فوق الأسباب المعتادة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُم وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا ﴾ (١) .

وقال تعالى فى شأن جلاء بنى النضير من اليهود : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ ﴾ (٢) .

إنها يد الله ، تعمل بالأسباب ، ومن غير الأسباب ، وهى مع المؤمنين دائمًا وأبدًا ، حتى ينتصروا وتعلو بهم كلمة الله .

* * *

(١) الأنفال : ١٧ (٢) الحشر : ٢

● فسوف يأتى الله بقوم يحبهم :

ومن المبشرات القرآنية : ما ذكره الله تعالى فى سورة المائدة ، مهددًا المرتدين المارقين من الدين ، بأنهم لن يضروا دين الله شيئًا ، ولن ينهدم الدين بارتدادهم عنه ، فقد تكفل سبحانه بأنه يدخر لهذا الدين جيلاً من المؤمنين الأقوياء ، يقاومون الردة والمروق ، ويقيمون الدين فى أنفسهم : علاقة وثيقة - بل علاقة حب - بينهم وبين ربهم ، وعلاقة تعاطف ورحمة مع أهل الإيمان ، وعلاقة عزة وقوة مع أهل الكفر والطغيان ، وعلاقة جهاد ونضال مع أهل الشر والمنكر ، فهذه أوصافهم الأساسية التى أبرزها القرآن فى معرض البشارة للمؤمنين ، والنذارة للمرتدين :

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

يقول الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية : يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة : إنه من تولى عن نصرة دينه ، وإقامة شريعته ،

---

(١) المائدة : ٥٤

بأن الله سيستبدل به من هو خير لها منه ، وأشد منعة وأقوم سبيلاً ، كما قال تعالى :

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٣) . أى ليس بممتنع ولا صعب .

وقال ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ :

(أى لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله ، وإقامة الحدود ، وقتال أعدائه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يردهم عن ذلك راد ، ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل . وذكر ابن كثير هنا حديث أبى ذر - الذى رواه الإمام أحمد - قال رضى الله عنه : أمرنى خليلى صلى الله عليه وسلم بسبع . . وذكر منها : وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مرًا ، وأمرنى ألا أخاف فى الله لومة لائم) (٤) .

* * *

---

(١) محمد : ٣٨ (٢) النساء : ١٣٣

(٣) إبراهيم : ١٩ ، ٢٠ ، وفاطر : ١٦ ، ١٧

(٤) انظر : تفسير ابن كثير : ج ٢/٦٩ ، ٧٠ - طبعة عيسى الحلبى .

● **سنريهم آياتنا :**

ومن المبشرات القرآنية قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) .

وهذا وعد من الله تعالى ، يبرز منه فى كل زمن ما نشهده بأعيننا ، وما نسمعه بآذاننا ، وما نحسه بقلوبنا .

ومن جملة ذلك : ما نراه فى عصرنا من دراسات من أهل العلم الطبيعى والرياضى ، لبيان أوجه جديدة للإعجاز العلمى فى القرآن ، وفى بعض هذه الدراسات نظرات جيدة وعميقة اعترف بها عدد من غير المسلمين .

* * *

(١) فصلت : ٥٣